المشرق

مفكّرات السنة الشمسيّة لاهل الكرة الارضية

نظر علمي للاب لويس شيخو اليسوعي

يوم الخميس في غرّة كانون الثاني يدخل العالم في سنة شمسيّة جديدة هي الخامسة والعشرون بعد التسعمائة والالف منذ ميلاد السيد المسيح وهي توافق السنة ٧٤٣٢ لآدم على الحساب البوزنطي و ٧١٢٤ للخليقة حسب الترجمة السبعينيّة والسنة ٥٦٨٥—٥٦٨٦ للحساب اليهودي والسنة ٤٨١٢ للدرزان و ٣١٤٠ لاوهيو الصيني و ٣٤٣٥ لموسى الكليم و ٢٩٥٧ للملك والنبي داود و ٢٦٧٨ لرومية و ٢٢٣٧ لليونان او السلوقيين والسنة ١٦٤١ — ١٦٤٢ هجريّة وفي السنة ١٩٢٥ يقع بدء الصوم يوم الاثنين في ٢٣ شباط وعيد الفصح في ١٢ نيسان. عددها الذهبي في رتبة السنين الدوريّة في كلّ ١٩ سنة هو ٧ وقاعدة القمر في اوّل يوم من السنة هي ٥

فهذا الحساب كما ترى مبنيٌّ كلّهُ على الشمس واليها مرجعنا في معرفة سنتنا بل اليها الفضل في حياتنا كلّها كما عليها يترتّب نظام سنتنا. ولذلك اتخذتها كل الشعوب الراقية قاعدة لتدبير امورها. وبلغ بالبعض منها معرفتُها الجميل ان وجّهت اليها إكرامها فمجّدت واتّخذتها كمعبودتها السامية بدلًا من ان ترفع عواطف شكرها الى الله الخالق الذي أبدعها وجعلها سراجًا لعالمنا وعلّق عليها منافع ارضنا

فبهذه النسبة احببنا ان نذكر بعض ما تستفيده كرة ارضنا ونستفيد نحن معها من فضل الشمس بعناية الخالق فنزيد حبًّا لذلك الاله الذي سخّر هذا النيّر العظيم لخدمتنا ولولاهُ لتنغّص كلّ عيشنا بل لعُدمت حياتنا تماماً

***

١ واول ما يقضي على كرة ارضنا بالشكر للشمس انها «ابنة الشمس» ومنها كيانها . فانها كبقية السيارات الدائرة حول الشمس كانت في سالف الاعصار جزءاً من الشمس وبدوران الشمس في الافلاك انفصلت عن امها واستقلت بحركتها الا ان الشمس لم تزل تضبطها تحت سلطانها فهي تجذبها وحولها تدور ومنها تستمد نورها فهي كحاشية ذاك الملك الجبّار تجري منوطة بحكمه تربطها اواصر الرحم بمولدتها

٢ ومن نعمة الخالق ان القرابة بين الشمس والارض هي قرابة حبّ معتدل فانها لا تتحكّم على الارض تحكّم العاشق بمعشوقه ولا تجعل محبّتها رخوة الروابط فتحرمها كثيراً من عواطف حبها . فانّ موقع الارض في النظام الشمسي متوسّط ليست قريبة كسيارتي عطارد والزهرة ولا بعيدة كبعد المرّيخ ولاسيّما المشتري وزحل واورانوس ونبتون . ورتبتها هذه المتوسّطة تُوليها منافع جمّة . فلو كانت في جيرة الشمس كعطارد لأحرقت الشمس كل نباتها واهلكت كل نسل عليها . وعطارد تتلظّى باشعّة الشمس المتّقدة فتنالها من حرارتها سبعة اضعاف حرارة الارض كما اثبت ذلك الفلكيّون . امّا الزهرة فانها وان لم تشعر بلفحات الشمس كشقيقتها عطارد الّا انّ وقدات الحرّ عليها ضعف حرارة الشمس على سطح كرتنا وهذا ممّا لا يُحتمل في معظم اقاليم ارضنا

وبخلاف ذلك لو كانت ارضنا على بُعد سيّارة المرّيخ من الشمس لَما نالها من نورها الّا ثلث الحرارة التي ينالها المرّيخ فيكون اذن بردُنا قارساً لم نستطع احتمال وطأته في معظم فصول السنة . وما قولنا لو كانت الارض على المسافة الفاصلة بين الشمس والمشتري فانّ قوّة النور والحرارة على سطح السيّارة المشتري تتراوح بين ٢٠ و ٢٥ مرة اضعف منها على الارض فاي حيّ يستطيع ان يقاسي مثل هذا البرد المهلك ؟ . وكم بالحري لو وُجدت ارضنا على مسافة زحل واورانوس ونبتون من الشمس وكلها تستمد نورها وحرارتها منها فنصيبها منها نصيب الفقير المدقع المائت جوعاً وعطشاً . ومن هذه المقابلة تظهر عناية الله الصمدانيّة بارضنا وسكانها . وبها يصحّ قول الفلاسفة انّ خير الامور اوساطها

٣ ولمقام ارضنا في النظام الشمسي نعمة ثالثة وهي مدّة دورانها حول الشمس

وعليها تترتب السنة الشمسية . فدوران الارض كما هو معلوم يدوم ٣٦٥ يوماً مع زيادة يتكوّن منها يوم في السنة الكبيسة . ومن هذا الدوران تتألف الفصول الاربعة : الشتاء والربيع والصيف والخريف يتواصل بعضها ببعض وتتناسق تناسقاً بطيئاً ليناً لا يحدث عنهُ ضررٌ بالانقلاب المتسرّع حتى لو وقع بعض الخلل في تلك الفصول لَلَحِقَنا منهُ اضرار محسوسة كالجدب في الصيف والخريف ثمّ السيول العرمة في الشتاء والربيع . ألقِ الآن نظرك على بقيّة السيّارات تَرَ فضل حالة ارضنا عليها فانَّ عطارد تدور حول الشمس بنحو من ٨٨ يوماً لا تتجاوز فصولها الاربعة ٢٢ يوماً فتاهيك بذلك من تقلّبات سريعة في جوّها بموجب اقترابها المفرط من الشمس او ابتعادها عنها اذ تدور حولها كأرضنا على شكل اهليلجيّ . وكذلك الزهرة فانّها تدور حول الشمس بقريب من ٢٢٥ يوماً فيكون لكل فصل ٥٦ يوماً بنيّف . فانَّ سكّانها على افتراض وجودهم فيها معرّضون لآفات التقلّبات الجوّيّة

وعلى عكس ذلك فصول سنة المرّيخ التي يطول دورانُها حول الشمس نيفاً و٦٨٦ يوماً وذلك ما يجعل فصولها الاربعة مفرطة الطول يزيد الفصل عن خمسة اشهر . فلو وُجد البشر على سطحها لَنشروا وغاسلوا واشتهروا نهاية الفصول المئنية الملة بها الخريف والشتاء . وافظعُ من ذلك موقف سيّارة المشتري التي تدوم سنتها لتقطع سيرها حول الشمس ثلاثين سنةً من سني ارضنا فيكون الفصل سبع سنين وعدة شهور . وما قولنا بزحل واورانوس ونبتون ودورانها في افلاكها البعيدة

٤ ومن النعم الحاصلة لأرضنا من فضل الشمس تحديد ازمنتها وتقاسيم سنتها من ايّام وشهور وسنين . وذلك كلّهُ ممّا يشقّ ضبطهُ في غيرها من السيّارات . فانَّ ارضنا توجّه كلّ يوم احد قسميها الى الشمس بضع ساعات ثمّ تحوّل اليها قسمها الثاني وبذلك يتمّ نظام الليل والنهار . فيدعو الليل البشرَ الى السكينة والراحة ويستفزّهم النهار الى الحركة والعمل . تخفّ عنهم في الليل وطأة الحرّ ويكسوهم النهار بهجةً وينعمهم نشاطاً . يأوون ليلاً الى الخلوة والانفراد ويعودون نهاراً الى حلبة السباق والازدهار . ثمّ تتناوب ايّام الاسبوع ثمّ الشهر الى السنة فيخصّص لبعض اطوارها مواسم ترتبط مع مواقع الشمس في منطقة بروجها

٥ ثمّ ان لكرتنا الارضيّة تقاطيع ومناطق مختلفة من اودية وجبال وسهول

وسُحُب وقارّات وبحار للشمس فيها فعلها المشكور تحيي التربة بحرارتها وتزكي الزروع بنورها واشعّتها وتمتصّ المياه صيفاً فتحوّلها الى ابخرة ثمّ الى امطار وثلوج شتاء فتسقي النبات والحيوان وتُخصب سائر البلدان بما يتولّد منها من الانهار . كلّ ذلك بفضل الشمس ونسبة ارضنا الى بُعدها عن مركزها

وما قولنا عن مظاهر اخرى تعلّلها الشمس في ارضنا كهبوب الرياح الناتجة عن تخلّل الهواء بحرارتها فتهجم الرياح حيثما تفرغ الاهوية من البرّ الى البحر ومن البحر الى البرّ ومن الجبال الى الصحاري ومن الصحاري الى الاودية بسرعة تختلف على حسب فروغ الهواء

٦ وكم لنور الشمس في ارضنا من المفاعيل العجيبة في تلوين الاثمار والنبات وجلود الحيوان واجنحة الطيور . وما اجمل المناظر وأفتنها عند شروق الشمس وغروبها اذ تكسو الأفق بألوان حمراء ارجوانيّة ذهبيّة لازورديّة لا تشبع العين من النظر اليها . وكذا قُلْ عن قوس قُزَح اذ ينعكس نور الشمس على الغمام فتنحلّ اشعّتهُ البيضاء الى الالوان السبعة التي يتركّب منها

كلّ هذه العجائب خصّ الله بها ارضنا ولا اثر لها في غيرها من السيّارات لخلوّها من المياه اذ لا جوّ لها كجوّنا . فصدق ما قلنا فيها انّها ابنة الشمس واعزّ المحبوبات اليها

***

وهذه المظاهر كلّها طبيعيّة وانّما عليها تترتّب مظاهر أخرى اجتماعيّة وادبيّة . فانّ لكلّ دولة ولكلّ دين تظاهرات مرتبطة بالسنة الشمسيّة تحتفل بها في اوقات محدودة . وان قصرنا النظر على الكنيسة الكاثوليكية وجدنا بين رقيها والشمس علائق لطيفة . ولا عجب فانّها تعتبر الشمس كرمز السيد المسيح الذي تدعوهُ شمس العدل وشمس العقول . كيف لا وهو «النور الحقيقي الذي يُنير كلّ انسانٍ يأتي الى هذا العالم» (يوحنّا ١ : ٩) وقد قال عزّ وجلّ عن نفسهِ «انا نور العالم مَنْ تبعَني فلا يمشي في الظلام بل يكون لهُ نور الحياة» (يوحنّا ٨ : ١٢)

وهذا ما حدا بالكنيسة الى ان تجعل فرائضها وصلواتها القانونيّة على نظام حركات الشمس في دورها اليوميّ . فهي توجّه صلواتها الى المسيح سيّدها شمس البرّ في خمسة اطوار الشمس اليوميّة فتبدأ بصلاة الساعة الاولى عند طلوع الشمس . ثمّ تُعقبها بصلاة

الساعة الثالثة في رأد الضُحى اذ تبلغ الشمس تمام نورها وحرارتها. وتليها صلاة الساعة السادسة في الهاجرة عند بلوغ الشمس مستوى سيرها في الفلك. وتعود اليها عصراً عند زوال الشمس في اصيل النهار فتلك صلاة التاسعة. ثم تختم النهار عند مغيب الشمس بصلاة الغروب مع الستار. وتدع صلواتها المطوّلة لثلاث هجعات الليل اذ يتجلّى لها ذاك الاله الذي لا تحجب نورَهُ ظلمةٌ

واليوم الاوّل من الاسبوع وهو الاحد معدودٌ كيوم النور وهو في عرف كثير من الشعوب يُدعى بيوم الشمس (dies Solis, Sonntag, Sunday) فالكنيسة خصّتها بخدمة الله كباكورة الاسبوع وحظرت على ابنائها الاشغال المادّية

وكذلك في نظام الكنيسة السنوي ترى اخصّ اعيادها ذات علاقة مع الشمس. فانّ اوّل اعيادها عيد ميلاد الربّ جعلتهُ في ٢٥ كانون الاوّل حيث يقع تقريباً عند الانقلاب الشتوي فيبدأ النهار بالطول ويزداد نور الشمس. وكذا عيد دخول المسيح الى الهيكل في ٢ شباط يدعى بعيد النور لظهور الربّ فيه وهو «النور الذي ينجلي للامم» كما قال سمعان الشيخ (لوقا ٢: ٣٢). ثم [illegible] واقع بقرب الاعتدال الربيعيّ وعلبة نور الشمس في النهار على علبة الليل. وشبهُ تجلّي الرب في ٦ آب عند معمان الصيف اشارةً الى ظهوره في جلاله اذ اضاء وجههُ كالشمس» (متى ١٧: ٢). وفي اواسط ذلك الشهر عيد انتقال العذراء التي قيل فيها انّها مختارة كالشمس (نشيد ٦: ٩) ورآها يوحنا الحبيب في الرؤيا (١٢: ١) فقال عنها: «وظهرت في السماء آية عظيمة امرأةٌ ملتحفة بالشمس وتحت قدميها القمر وفي رأسها اكليل من اثني عشر كوكباً»

فترى ما للشمس من المقام الرفيع في عالم الادب والدين كما في عالم الكون الطبيعيّ فيحقّ على الانسان ان يقدّم لربّ الاكوان الشكر العميم على ما نالهُ ولا يزال ينالهُ من مراحمهِ تعالى بواسطة ذاك النيّر العظيم الذي على الرغم من جمالهِ ليس هو الّا صورة ماديّة ضعيفة للنور الالهي الذي ينجلي للقلوب في الارض وسيطلع بكلّ بهائهِ ورونقهِ في السماء لابصار الابرار مدى الدهور والاعصار